الاسْتِشْرَاقُ وَأَثَرُهُ في مَجْموعَةٍ مِنْ أعْلامِ الأدَبِ العَالمَي

The Impact of Orientalism on a Group of world literary figures

Lect. Falah Abid Ali Sarkal م.د. فلاح عبد علي سركال [1]

الملخص

من المسـلَّم بهِ أنه لايوجد أدب منغلق على ذاته تماماً، فبشـكلٍ أو بآخر لا بدّ أن يتأثر أدبٌ قومي بثقافات العالم وآدابه المختلفة، ولابد من أن يؤثر في تلك الآداب، حتى وإن بدا للوهلة الأولى أنه منعزل انعزالاً تاماً عن غيره من الآداب، وقد ألقت حضارة المشرق الإسلامي (أدباً، وفكراً، وثقافة) بظلالها على الآداب العالمية كلها، ولاسـيما تأثيرها الكبير الذي حدث بعد الحركات الاسـتشـراقية الكبرى التي عُنيت بالتراث الشرقي والإسلامي على وجه الخصوص.

ولهذا يهدف هذا البَحْثِ إلى تسـلّيطَ الضَّـوءَ على مصـطلح الاسـتشـراق والتباين في تحديد مفهومه، واستظهار بداياته، والدوافع المبتغاة من ورائه. كذلك يلقي نظرةً عامة إلى تأثير الاستشراق في أدب أديبين فرنسـيين هما (فولتير، ولافونتين)، وأديبين روسـيين هما (كراتشـوفسـكي، وبوشـكين)، وأديب ألماني هو (غوته)؛ بوصفهم نماذج من مشاهير وأعلام تلك الآداب.

Abstract

This study aims to shed light on the term Orientalism and variances in the definition of its concepts its early beginning and the motives behind it, it also sheds its genera l attention to the infueuce of orientalism in two French adherents (volter and lavontin) adebine rusien (kratishovski and pushkin) he (Goethe) described these writers as models of celebrities and scholavs of those literature.

١ –جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.

Especially the great impact that occurred after the movements of the grat assyriam

المقدمة

فلعلنا نستطيع القول إنَّ التأثير والتأثر المتبادلين بين الآداب المختلفة أمر حتمي، ولانستطيع الزعم بأن أيّ أدبٍ مهما بلغت أصـــالته وعراقته يخلو من التأثر بالآداب الأخرى، فبقدر ما ينفتح على الآداب الأخرى تتسـع آفاقه، وتتعمق جذوره، ويكفي أن نذكر لذلك أن العصـر الذهبي بالنسـبة إلى أدبنا العربي كان العصـر العباسـي، إذ تُرجم عدد غير قليل من الآثار الأدبية والفكرية الفارسـية والهندية واليونانية إلى لغتنا العربية، من نحو ترجمة مؤلفات الفيلسوف اليوناني (أرسطو) إلى لغتنا العربية، ونستطيع أن نعمم هذا الاستنتاج على آداب عالميةٍ أخرى.

وعلى أية حال لايوجد أدب منغلق على ذاته تماماً، فبشـــكل أو بآخر لا بدّ أن يتأثر أدب قومي بآداب العالم، ولابد من أن يؤثر في تلك الآداب، حتى وإن بدا للوهلة الأولى أنه منعزل انعزالاً تاماً عن غيره من الآداب، وقد ترك الأدب العربي الغني بآثاره على الآداب العالمية كلها ولاسيما تأثيره الكبير الذي حدث بعد الحركات الاستشراقية الكبرى التي عُنيت بالتراث الشرقي والإسلامي على وجه الخصوص.

وَقَدْ اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ البَحْثِ أَنْ تُوَزَعَ خُطَّة الدِّرَاسَةِ على ثلاثة مباحث، يسبقها تَمْهِيدٌ، وتَتْلُوهُا خَاتِمَة، وقَائمَة بالمصَادِرِ والمرَاجِعِ. وَكَانَ تَفصِيلُ ذلك على النَّحوِ الآتي:

التَّمهِيد: حَاوَلنَا فيه تسلّيطَ الضَّوءَ على مصطلح الاستشراق والاختلاف بين المختصين في تحديد مفهومه، كذلك تطرقنا إلى بداياته والدوافع المبتغاة من ورائه.

المبحث الأَوَّل: خُصِصَ هذا المبحث لإلقاء نظرةٍ عامةٍ إلى تأثير الاستشراق وما تمخض عنه في أدب الأديبين الفرنسيين (فولتير، ولافونتين) بوصفهما أنموذجين من أعلام ذلك الأدب.

المبحَث الثّاني: كُرِّسَ لعرض تأثير الاستشراق في نتاج الأديبين الروسيين كراتشوفسكي وبوشكين.

المبحث الثالث: تناولنا فيه تأثير الاســتشــراق في الأديب الألماني (غوته)، بوصــفه أنموذجا بارزاً من أعلام هذا الأدب.

أمّا الخاتمة فقد أَوْجَزت أفكار البحث ما تَوَصَّلَ إليهِ من نَتَائج.

وقَدْ اتَّسَــمَتْ مَصَــادِرُ البَحثِ وَمَراجِعُهُ بالتّنوّعِ؛لأَنَّ الدِّراسَــةَ تَطَلَبَتْ الإفَادَة من مَصَــادِر ومَرَاجِع متعددة.

التمهيد: الاستشراق؛ المفهوم، والبدايات، والدوافع

مصطلح الاستشراق ومفهومه:

لقد أختلف المهتمون في هذا الحقل المعرفي بتحديد مفهوم الاسـتشـراق، ولكن بصـورة عامة أن كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق، وتدل على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوعة، وبهذا يكون المستشرق هو الشخص المهتم بدراسة مايدور في الشرق من مجالات فكرية ومعرفية مختلفة. ويُحَدَدُ الشرق جغرافياً بمجموعة الدول المنتشرة في آسيا وبعض الدول في أفريقيا، ومنهم من يقصر

الاستشراق على الاهتمام بدراسة الحضارة العربية والفكر الإسلامي فحسب، ومنهم من يطلق لقب "مستعرب" على كل من تخصص بدراسة الحضارة العربية الإسلامية [٢].

وفي النهاية كان يتم الحديث دائماً في الاستشراق عن الشرق العربي المسلم، الذي كان موضوع دراسة المستشرقين، وبالتالي فإنه يصبح لدينا استعمال مصطلح (الاستعراب) لهذا الحقل من الدراسات التي تناولت الشرق العربي الإسلامي وتصبح تسمية (الاستشراق) تخص الذين درسوا الشرق بعامة من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية، لأن المستشرقين كافة في نهاية المطاف قد اختزلوا الشرق بالعرب المسلمين، الذين شكلت حضارتهم تحدياً وتهديداً للغرب الأوروبي.

بدايات الاستشراق:

يؤرخ المختصون بداية الاستشراق بالقرن التاسع عشر، وعلى أبعد حد نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، لذلك نرى أن مصطلح (استشراق) ظهر لأول مرة في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٨م)، وظهرت كلمة (مستشرق) باللغة الإنكليزية حوالي عام (١٧٧٩م)[٣]، ومنهم من يؤرخ له ببداية الحملة الفرنسية على مصر عام(١٧٩٨م) حينما جلب نابليون عدداً كبيراً من العلماء إلى مصر وقاموا بمعالجة أبحاث عديدة، ومنه من يرى أنه بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب الأندلس، في حين يذهب آخرون الى أن بدايته مع بداية الحروب الصليبية على بلاد المسلمين[٤].

ويمكن عدُّ الاستشراق عبارة عن نتاج النظرة الأوروبية تجاه الشرق، هذه النظرة التي تفترض حق الهيمنة والسيطرة على الشرق بداعي التفوق في الوقت الذي كان يعاني فيه الشرق من العجز نتيجة الاستعمار الأوروبي الغربي له، فقاموا بتوصيف المشرق بكل ما يحوي وبحسب مايحلو له ويخدم مصالحه، وكرس هذا الوصف في وعي الإنسان الأوروبي الغربي لأجيال عديدة[٥].

ويعزو أحد الباحثين ازدهار الدراسات الشرقية إلى ارتباطها بالاستعمار الأوروبي وسيطرته على بلدان الشرق والعالم العربي فيقول: ((إن الازدهار الحقيقي للدراسات الشرقية في القطاعين الرئيسيين اللذين هما الشرق الأقصى والعالم العربي يعود تاريخه بالدرجة الأولى إلى عصر التوكز الاستعماري، وبشكل خاص إلى السيطرة الأوروبية على العالم العربي))[٦].

دوافع الاستشراق:

أما دوافع الاستشراق فالمستشرقون أنفسهم يرون أن الاستشراق تم بدافع الفضول المعرفي للشعوب الأخرى، فيرى مكسيم رودنسون أن الاستشراق كان يعبر عن الرغبة (في توسيع الفلسفة الإنسانية لعصر النهضة، ففي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أرادوا أن يضيفوا إلى الحضارات النموذجية الكلاسيكية التي تستلهمها أوروبا حضارات أخرى)[٧]، وهكذا أضافوا نماذج من الحضارات

٢- ينظر: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها/٥٨-٥٩.
٣- مكسيم رودنسون: ٨٨.
٤- ينظر: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها/٦٢،٦٣،٦٦.
٥- الاستشراق، إدوارد سعيد: ٣٨.
٦- الاستشراق في أزمة، أنور عبد الملك: ٧١.
٧- مقالة مكسيم رودنون في (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه)، هاشم صالح: ٨٦.

الشرقية، ولما أرادوا التوصل إلى معرفة تلك الحضارات معرفة علمية، نما الاستشراق وازدهر، ولكن إرادة المعرفة العلمية هذه بالحضارات الشرقية تمت عندما استطاع الغرب أن يغدو أقوى من الشرق، ومن ثمَّ أصبح الأخير موضوعاً مدروساً والغرب ذاتاً دارسة بعد أن أدرك الغرب تفوقه. إذن فالاستشراق الغربي ارتبط بالمشروع الاستعماري الذي أصبح الاستشراق وجهه الثقافي[٨].

فضلاً عن ذلك أن دراسة الشرق العربي – المسلم، جاءت بقرار من الكنيسة، ونتيجة من نتائج الحروب الصليبية، فكانت دوافع كثير من الدراسات العربية الإسلامية في حقيقتها دوافع استعمارية انبثقت من رحم الحروب الصليبية، التي كانت أول تجربة استعمارية خاضتها أوروبا خارج حدودها، إذ سارت الحملات الصليبية باتجاه الشرق العربي الإسلامي تحت ستار ديني، كانت غايته عمليّاً، إقامة كنيسة عالمية بإخضاع الكنيسة الشرقية لسلطة روما، من خلال إيجاد هدف عام مشترك هو قتال المسلمين وتحرير بيت المقدس، وبالتالي فإن الحروب الصليبية في دوافعها وكذلك في أدواتها كانت أوروبية غربية.

ويمكننا إضافة دافعٍ آخر وهو الدافع العلمي، إذ أن هناك مجموعة من المستشرقين أقبلوا على دراسة العلوم العربية والإسلامية بدافع علمي محض بغية الإفادة من تراث وحضارة هذه الأمة وإفادة أقوامهم منها فجاءت مؤلفاتهم متسمة بالحقيقة العلمية كي تثبت للعالم الغربي أصالة الحضارة العربية الإسلامية؛ ولاسيما بعد أن اطلعوا عليها عن كثب بعد فتح العرب للأندلس، وفترة حكمهم الطويلة عليها[٩].

المبحث الأول: تأثير الاستشراق في الأدب الفرنسي، فولتير، ولافونتين أنموذجان

أولاً: تأثير الاستشراق في نتاج فولتير

لنجعل أمر تلمس اثر الاستشراق أكثر سهولة في الأديب الفرنسي فولتير، ولتصيد الآثار العربية الكثيرة في نتاجه؛ علينا تسليط الضوء على كتابه المعروف بـ(زديج) أو(القدر)الذي يمثل قصصاً فلسفية رمزية، تأثر فيه بشكل واضح بحكايات ألف ليلة وليلة، وزديج هو بطل شرقي نبيل فلسف الحياة والوجود، وأظهر مواطن الفساد في المجتمع الفرنسي، وانتصر للمظلومين والفقراء. وهذه القصة – التي حققت نجاحاً كبيراً – تعدُّ النواة الأولى للقصة الفلسفية الحديثة، وذلك لما طرحته من قضايا فلسفية شغلت الناس في عصر التنوير[١٠]، قد استعان بـ"الليالي" وأجوائها الشرقية من أجل بثّ أفكاره ودروسه، في عصر أحبّ الناس فيه العالم الشرقي وكل ما يمتّ إليه بصلة. فـ "اهتمام فولتير بهذه المجموعة لم ينصبّ على عالم الأحلام مثلما انصب اهتمام جوته، بل ركز على الجانب الأسطوري، بوصفه رداء، شاع استعماله آنذاك في الحكايات التربوية. لقد كان الرجل يعمل من أجل برنامجه الفلسفي[١١]. واللافت للنظر أنَّ (فولتير)

٨- المصدر السابق: ١١٣.

٩- ينظر: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها/٨٦.

١٠- ينظر:أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير.د شريفي عبد الواحد، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب، دمشق، العدد ٣٤٩، آيار/٢٠٠٠م.

١١- جوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومسن، دمشق ١٩٨٠م: ٧١١-٧١٢.

لون قصته بألوان شرقية رائعة وكساها بمنهجه المعروف. فبطلها شاب بابلي مثقف، محبّ للعدل والإنصاف، عانى الويلات في كلّ مكان... أمّا أحداثها فتجري في إطار شرقي- عربي (بابل، صحراء مصر، البصرة، جزيرة العرب): تنطلق الأحداث من بابل في عصر الملك مؤبدار (أي قبل ظهور الإسلام) ثمّ تنتقل إلى مصر عبر صحراء سيناء، ثمّ الجزيرة العربية، ثمّ تستمر الأحداث إلى البصرة حيث يذكر فولتير من دون تفاصيل كثيرة بعض خصائص هذه المدينة... وتمتدّ الرحلة -بعد البصرة- إلى جزيرة سرنديب، ومنها إلى سوريا؛ ليصل البطل -في نهاية المطاف- من حيث انطلق (أي بابل)، إنها رحلة دائرية، مركزها الفيافي العربية التي تغنى بها الأبطال في حكايات شهرزاد[١٢].

أصبح من المسلّمات لدى الباحثين، أن كتاب القرن الثامن عشر من الأوربيين بعامه والفرنسيين بخاصة قد أطلّوا على ذخائر العرب والمسلمين، إذ فَتحت الأندلس-بوابة الشرق نحو الغرب- مصراعيها بوجه الأوربيين فتنصتوا وانتهلوا وترجموا واطلعوا على تلك النفائس الغالية، ولاسيما أنّ كثيراً من الباحثين يعدون فتح الاندلس باكورة الحركات الاستشراقية، فبان صدى ذلك في كتاباتهم، وبات من اليسير على فرنسي من طراز أدبي رفيع كفولتير أن يطّلع على المؤثرات العربية التي اعتمدها في روايته، وقد اعترف في عدة مناسبات بذلك، إذ ذكر أنه لم يُصبح قاصا إلا بعد أن قرأ ترجمة جالان لألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة، قراءة متأنية واعية، لكونه وجد فيها مادة للسرد القصصي لا تنضب، ومضامين إنسانية غزيرة، وأساليب فنية جديدة[١٣]، ولم يكن تأثر فولتير في زديج مقصورا على ألف ليلة وليلة، بل تعداه إلى العديد من المؤثرات الأخرى، فإن الترجمة الفرنسية للقران الكريم يعود تأريخها إلى القرن الرابع عشر[١٤]، وقد استثمر ذلك في كتابه، فضلا عن المؤثرات الكثيرة الأخرى.

ويمكن أن نشير إلى المواضع التي عالجها فولتير في كتاب زديج، والتي نجد فيها مؤثرات عربية ومنها:

١- قصة الأنف: يستعير فيها فولتير حكاية أسطورية شرقية في سبيل شدّ القارئ لطرفة عربية كانت تروى في الأقاصيص الشعبية[١٥]، وتأثرت بثلاثة مؤثرات في هذه القصة: الأولى حكاية سرعة تغيّر وفاء النساء[١٦]، والثانية: حكاية غدر المرأة[١٧]، والثالثة: القصة الشعبية العراقية المعروفة بـ(الإسكندر)[١٨].

٢- قصة الكلب والجواد: تأثر فيها بحكاية ذكاء العرب التي يرويها المسعودي في أوائل القرن الرابع الهجري[١٩].

١٢- أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير،د شريفي عبد الواحد مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق، العدد٣٤٩، آيار/ ٢٠٠٠م.

١٣- ينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٢٠.

١٤- من آفاق الأدب المقارن: ١٩.

١٥- ينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٣١.

١٦- ينظر: غرائب النساء: ١٥٤-١٥٥. وينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٣٣.

١٧- ينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٣٥-٢٤٠.

١٨- ينظر: أرض الغيلان، ثلاث مسرحيات عراقية، د.داود سلوم، مكتبة الأندلس – بيروت ١٩٧٠م:٦٦-٦٨، ٨١، وينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٤٠- ٢٥٤.

١٩- ينظر مقالات في الأدب المقارن التطبيقي: ٧٩-٨١. وينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب: ٢٥٩-٢٦٣.

٣- قصة الناسك: تأثر فيها بقصة نبي الله موسى والخضر -عليهما السلام-[٢٠]، وقد أثبتت المقارنة استعارته لتلك القصة، لكنه لم يصل إليها عن طريق القراءة الموثقة وإنما وردت إليه عن طريق السماع من المنقول.

٤- قصة ذكاء زديج: وتأثر فيها بحكاية عربية تروى عن ذكاء القضاة العرب[٢١]، وقد أثبتت المقارنة متابعة فولتير لخطى الأثر العربي،عدا استبداله الشجرة بالصخرة.

٥- حيلة ألمونا في زديج: تأثر فيها بأحد مرويات ألف ليلة وليلة في حكاية السندباد البحري، وتتحدث عن امرأة خدعت عددا من رجال الدولة وحبستهم في خزانة الملابس[٢٢]. وقد أثبتت المقارنة استعارة فولتير لهذه الرواية، لكنه أوجزها إلى الحد الأدنى. فالآثار واضحة في تلك الحكايات إذ تأثر بالتراث العربي، وبالقرآن الكريم، فهيكلها العام عربي إسلامي.

ففولتير بنى شهرته على هذه الرواية التي تضمّ مادة وعُقدا لم يألفها جيله، على أنها من إبداعه وابتكاره، غاضّا الطرف عمّا أفاد من الأدب الشرقي العربي بالقدر الذي ساعد على شهرته[٢٣]. بدأها بأسطورة شرقية وحكاية تراثية، وكانا عنصري الشد في الرواية قائمين على الآثار العربية، لأن أحداثها أحداث عادية تقع لكل الأبطال ولكن استقطاب انتباه القارئ يحتاج إلى النص الطريف المبتكر وغير المألوف، وهذا ما وجده فولتير في الأسطورة الشرقية والرواية التراثية العربية، فذكر أن الفصل الثاني الذي عنوانه (الأنف) يستعير فيه فولتير حكاية أسطورية شرقية في سبيل شد القارئ الفرنسي لطرفة عربية تروى في الأقاصيص الشرقية، وفي الفصل العشرين من الرواية ذاتها يستعير فولتير قصة الخضر وموسى -عليهما السلام-، مع شيء من التحريف فيما اجترحه الخضر، ولكنه يتطابق بعد ذلك في بعض الأحداث ويتصرف في القصة القرآنية في أحداث أخرى، وفي قصة أخرى يستعير فولتير لإظهار ذكاء زديج في القضاء حكاية عربية تروى عن إياس بن معاوية القاضي، ثم يستعير حكاية أخرى رويت عن امرأة في ألف ليلة وليلة لخداع الوالي والقاضي والوزير والملك، عشيقها من السجن ويرويها بشكل مقتضب مع تجنب ما يكشف أصلها العربي ولكن العقدة في الحالتين واحدة[٢٤].

وقد استعار فولتير حكاية شرقية ليس لها أصل تأريخي معروف، ولكنها وجدت في التراث الشعبي وسجّلت بعد ذلك في الكتب الأدبية المختلفة، وقد ظهرت هذه القصة في مصر، وسجّلها المنفلوطي في كتاب (النظرات).

٢٠- ينظر: قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤هـ): ٢٩٧- ٣٠١.

٢١- ينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٨٢- ٢٨٣.

٢٢- ألف ليلة وليلة، الليالي، بيروت د ت: الليالي ٥٨٩- ٥٩٣. وينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٨٤- ٢٩٣.

٢٣- أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٢٦- ٢٢٧.

٢٤- المرجع نفسه: ٢٢٧-٢٢٨.

ثانياً: تأثير الاستشراق في الأديب الفرنسي لافونتين[٢٥]

عرف لافونتين بكتابته للحكايات الخرافية التي تصور سلوك الانسان بالاعتماد على أدب الحيوان، وهي ذات مغزى نقديّ اجتماعيّ، وهي مجموعة مشهورة في قصص الحيوان وقد كُتبت شعرا متأثراً فيها بخرافات بابلية وسومرية، إذ اقتبس حكاية (الفيل والبعوضة) البابلية بعنوان الذبابة والثور، ويمكن رصد التأثر بسهولة من خلال الوقوف على منهجه الحكائي، وتتبع العقدة والشخصيات والمغزى أمور تكاد تكون واضحة في الحكاية[٢٦]، وهذا ما يلمس من حكاية الفيل والبعوضة، التي تحولت إلى حكاية البعوضة والثور عند أيسوب اليوناني، وتحولت إلى حكاية الذبابة والجمل عند فيداروس الروماني، ثم تحولت إلى حكاية البعوضة والنخلة لدى الثعالبي، وموضوعها واحد في كل هذه الآداب فهو يحكي عن غرور الضعيف، وقد علّق احد الباحثين على شخصية أيسوب التي استحدث الكثير من الحكايات البابلية والسومرية:((إن تفاصيل حياته لم تعد واضحة للمؤرخين، كما أنهم أضافوا إليه ما لم يقله، وأصبحت قصصه ككرة الثلج تكبر وتضخم كلما استدارت متدحرجة، وإن قصصه تشبه نوادر جحا، التي أصبحت تلتهم كل ما تنتجه عقلية أصحاب النوادر على مرور الأزمان والأجيال، وتشبه كذلك شعر المجنون الذي استضاف كل شعر يحمل اسم ليلى حتى وإن لم تكن ليلى العامرية))[٢٧].

لذا فإن الكثير مما أضيف إلى أيسوب كان أدباً شرقياً انتجته الثقافة الشرقية، أُخذ في فترات الاتصال الاوربي بالعرب ولاسيما بعد حركات الاستشراق، وانه لا يوجد مخطوطة قديمة لخرافات أيسوب، وإن كل ما موجود يقوم على مخطوطات كُتبت خلال فترة الاتصال بالحضارة العربية، وقد سجّل بعض الباحثين الغربيين ذلك بقوله:((تحتوي النسخ المعاصرة لحكايات أيسوب على حكايات ذات أصل شرقي))[٢٨]. لذا فانه يمكن الجزم بأن بعض حكايات أيسوب التي أخذها لافونتين هي من أصل شرقي عربي ولذلك يرى إمكانية تصنيف مصادر حكايات لافونتين كما يأتي:

١- حكايات أخذها عن أيسوب وقد أضيف إلى أيسوب من مصادر عربية.

٢- حكايات أخذها من كليلة ودمنة وقد اعترف نفسه بذلك، وسجل الباحثون ذلك أيضا.

٣- حكايات أخذها سماعا أو ترجمة عن الأدب العربي مباشرة، وهي من الحكايات المتأخرة التي لم ترد في حكايات أيسوب، ولا في كليلة ودمنة، ولكن أصولها توجد في الأدب العربي. وهنا يمكن ذكر الحكايات التي أخذها عن أيسوب ولها جذر في الأدب العربي القديم، ومنها الحكايات الاتية: حكاية الدب والحمل،[٢٩] وحكايات الديك والثعلب،[٣٠] وحكاية الحصان وابنه الحمار[٣١].

٢٥- لافونتين جان دي، شاعر فرنسي وُلد في شاتو تيري. مشهور بكتابه الحكايات، صوّر لا فونتين سلوك الإنسان من خلال تصور سلوك الحيوان، عالج لافونتين هذه الموضوعات الجدية، كالسُّلطة والطمع والعنف، بواقعية وكتب الحكايات بنظم شعري خفيف وطبيعي. (الموسوعة العربية العالمية:١٩/١١٢).

٢٦- ينظر: التأثر والتأثير بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني حصان طروادة أنموذجاً، د. داود سلوم، ط١، لمركز القومي للنشر- الأردن أربد، ١٩٩٩م: ٨- ١٠.

٢٧- قصص الحيوان في الأدب العربي القديم: ٢٥.

٢٨- دليل القارئ إلى الأدب العالمي: ٥٩. من آفاق الأدب المقارن: ٥٠- ٥١.

٢٩- حكايات من لافونتين: ٣٣. وقصص الحيوان: ٦١، وأمثال الميداني: ١/٣٤٩ وينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٥١.

٣٠- المرجع نفسه: ٥٩، وقصص الحيوان: ٨١، المستطرف: ٢/ ١١٩. وينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٥١.

٣١- المرجع نفسه: ٧٠. أخبار جحا: ١٣٢. وينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٥١.

وقد ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال حكايات لافونتين التي اعتمد فيها على كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع، إذ ذكر أن لافونتين قد اقتبس من كليلة ودمنة عشرين حكاية، قد أدخلها في الجزء الثاني من حكاياته، واستغراب من عدم قيام أي باحث لجرد هذه الحكايات ومقابلتها إلى هذا اليوم.

بعد ذلك أشـــار إلى جهد الباحثة ليلى حســـن، التي تناولت مثلين من هذا الاقتباس، شمل ثلاث حكـايات من كليلـة ودمنـة، مؤثرة في لافونتين، واكتفـت بـذلـك مثلا، فقـد ذكرت حكـايـة لافونتين (الحيوانات المرضى بالطاعون) مؤلفة من حكايتين من كليلة ودمنه: حكاية اللبوة التي قتل الأسود شبليها، وحكاية (الســبع المريض والذئب والثعلب والغراب والجمل)[٣٢]. وحكايته (النحلة واليمامة) المأخوذة من حكاية عربية بعنوان (الظبي وحبائل القنّاص وقوة الائتلاف)، وتحتاج الحكايات التي اقتبســها لافونتين من كليلة ودمنه إلى دراسة مستقلة قائمة بذاتها[٣٣].

فضـــلاً عن ذلك هناك حكايات معتمدة على حكايات عربية مســـموعة أو مترجمة، وذكر أن هذا جانب آخر من الأثر العربي في تلك الحكايات التي لم يلتفت إليه الباحثون، وأعطى عليه بعض الأمثلة، فذكر الحكاية التي أسماها المترجم (الماجن والأسماك)، هذه الحكاية مما يقع في كتب الأدب[٣٤]، وتروي عن أشعب الطماع، وقد نقلت في مختارات مجاني الأدب للأب لويس شيخو[٣٥].

المبحث الثاني: تأثير الاســـتشـــراق في الأدب الروســـي، بوشـــكين، وكراتشوفسكي انموذجان

أولاً: تأثير الاستشراق في الأديب الروسي بوشكين

نعرف من خلال إطلاعنا على سـيرة حياة الشـاعر الروسـي بوشـكين (١٧٩٩-١٨٣٧) أنه اهتم بالشـرق واطلع على تاريخ العرب وحضـارتهم وحاول تعلم الأحرف العربية والأرقام العربية؛ لانه اهتم منذ نعومة أظافره بنسـبه وأصـله، لأن أصـله يعود إلى أثيوبيا، وكتب عن هذا الموضـوع في قصـته "عبد بطرس العظيم" في عام ١٨٢٨.

تجلت تأثيرات الثقافة الشرقية الإسلامية لدى بوشكين شاعر روسيا العظيم في أدبه وخاصة مجموعته الشعرية (قصائد شرقية)، وذلك من خلال قراءته لترجمة القرآن باللغة الروسية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشـر، وكذلك من خلال معايشـته لشـعوب القوقاز المسـلم طيلة أربع سـنوات هي مدة نفيه إلى الجنوب بعد صـدور أمر القيصـر[٣٦]، يقول بوشـكين عن تأثير العرب المسـلمين في الثقافة الأوروبية (أن العرب في إسبانيا وهبوا للشعراء الأوروبيين الوجدان والعفوية في الحب)[٣٧]. ويقول (هناك أمران أساسيان أثرا تأثيراً حتمياً على روح الحياة في أوروبا وهما غزو العرب للأندلس والحروب الصليبية)[٣٨]

٣٢- حكايات من لافونتين: ٤٠٢، وينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٥٢-٥٣.
٣٣- كليلة ودمنة في الأدب العربي: ٤٠٩- ٤١١. وينظر: من آفاق الأدب المقارن: ٥٣.
٣٤- حكايات من لافونتين: ١٧٦، وينظر: من آفاق الأدب العربي: ٥٣.
٣٥- مجاني الأدب في حدائق العرب، لويس شيخو(الأب)، بيروت: ٣٠٩- ٣١٠. وينظر: من آفاق الأدب العربي: ٥٣.
٣٦- جريدة البيان، فر الوفا، ٢ أكتوبر ١٩٨٩.
٣٧- المؤلفات الكاملة لبوشكين، مجلد ١١ ص ٣٦ طبعة ١٩٤٩.
٣٨- المرجع نفسه: ١٣١.

ومن الواضح أن بوشكين تأثر في قصائده بالتراث العربي، ولاسيما بالقرآن الكريم وبألف ليلة وليلة، ويمكن استجلاء ذلك الاهتمام من خلال عرض بعض أعماله، منها:

١- القصة الشعرية "روسلان ولودميلا"، التي نظمها في عام ١٨٢٠م:

واضح تأثير "ألف ليلة وليلة" فيها. تروي القصة الشعرية حكاية أمير شجاع اسمه روسلان، كان يزف إلى أميرة جميلةٍ، في مدينة كييف، وهي الأميرة لودميلا، التي يخطفها الجن في ليلة زفافها، يصف بوشكين في قصته الشعرية الرومنتيكية عالم الجن، ويسير بذلك على تقاليد قصص الجان في "ألف ليلة وليلة" ولا تختلف حياة الجن كثيراً عن حياة الأنس، ويشبه القصر الذي يعيش فيه الجن الذي اختطف لودميلا قصور الملوك، فهو رائع وبهي ومحاط بحديقةٍ جميلةٍ، فيصفه الشاعر الكسندر بوشكين، بأنه أروع من قصور النبي سليمان، وأجمل من قصور الأمير تافريدي، ويوجد في قصر الجن، الذي خطف لودميلا خدم، وجوار.

اقتربت إحدى الجواري من لودميلا، وجدلت شعرها الذهبي بأناملها الرقيقة، وكان عدد الوصيفات ثلاث، وهو عدد وثيق الصلة بتقاليد الأساطير، وتزخر "ألف ليلة وليلة" بوصف الوصيفات الجميلات، على سبيل المثال، في الليلة ٢٧٩ قالت: "ومما يحكى أن اسحاق الموصلي قال: وإذا بأربع جوارٍ يقلن لي انزل على الرحب والسعة، ومشيت بين يدي جارية، بيدها شمعة، حتى نزلت إلى دارٍ، فيها مجالس مفروشة، لم أر مثلها في دار الخلافة، فما شعرت بعد ساعةٍ إلا بستورٍ، قد رفعت في ناحية الجدار، وإذا بوصيفات يتمايلن، وفي أيديهن الشموع ومباخر البخور، من العود القاقلي، وبينهن جارية كأنها البدر الطالع..".

تشبه القصة الشعرية "روسلان ولودميلا" حكايات "ألف ليلة وليلة" بالمزج بين الواقع والخيال فنجد في "ألف ليلة وليلة" شخصيات تاريخية مثل الخليفة هارون الرشيد، ووزيره الفارسي جعفر البرمكي وغيرهما، ونجد شخصيات خيالية، يأتي في مقدمتها الملك شهريار وجاريته شهرزاد، التي أصبحت في نهاية "ألف ليلة وليلة" زوجته، كما يؤدي الجن والسحر والأدوات السحرية وظيفة مهمة جداً في أحداث حكايات "ألف ليلة وليلة".

إن "روسلان ولودميلا" هي أول قصة شعرية رومانتيكية لبوشكين، وقد احتاج الشاعر عند كتابتها إلى "ألف ليلة وليلة" لأن إحدى خصائص الرومانتيكية الخيال المجنح وهنا نجد خيالاً لا حدود له.

٢- قبسات من القرآن الكريم: نظم بوشكين هذه القصائد التسع في عام ١٨٢٤م:

وهي من أولى قصائد مرحلة الواقعية النقدية، نظم قصائده المذكورة في منفاه الثاني، في قرية ميخائيل شوفسكي، وأهداها لجارته، التي اهتمت به واسمها براسكونيا اوسيبافا. ويستلهم في القصيدة الأولى سورة الضحى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأمّا السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث﴾. وقد أشار الكاتب الروسي دوستيفسكي في عام ١٨٨٠ الى تأثر بوشكين بالقرآن والتراث الاسلامي في هذه القصائد، حيث قال: "عندما نقرأ قصيدة الكسندر بوشكين "قبسات من القرآن" نشعر بأن الذي نظمها شاعر

مسلم، لأننا نتحسس روح القرآن الكريم بكبريائه، وبساطته، وسيف الحق المشرع على الباطل، وقوة الإيمان..".

ولقد لاحظت الدكتورة مكارم الغمري أن بوشكين استلهم قصائده التسع من القرآن الكريم مباشرةً، ومن تفاسير القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال استلهم بوشكين القصيدة الخامسة من سورة لقمان، والقصيدة السادسة من سورة الفتح، والقصيدة التاسعة من سورة البقرة.

٣- قصيدة النبي:

نظم بوشكين قصيدة "النبي" في عام ١٨٢٦ أي بعد مرور عامين على نظمه قصيدة "قبسات من القرآن"، وأشارت الدكتورة مكارم الغمري إلى أن بوشكين استلهم قصيدة "النبي" من سورة "المدثر": ﴿**يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر**﴾[٣٩].

٤-الليالي المصرية لبوشكين (١٨٢٦):

كتب الشاعر بوشكين قصةً قصيرةً بعنوان "الليالي المصرية" يتحدث فيها الشاعر عن كاتبٍ اسمه تشارسكي، كان ينظم الشعر من الصباح الباكر حتى المساء، واستمر على عمله هذا إلى أن زاره موسيقي إيطالي، يعزف على القيثار عزفاً ارتجالياً. وينظم الشعر ارتجالاً، ونظمت له حفلة في مدينة بطرسبرج، وارتجل قصيدة بعنوان "كليوبترا وعاشقها" واختارت إحدى السيدات هذا الموضوع، وطلب منها الشاعر أن تسمي له العشيق، الذي تريد الحديث عنه، لأن عشاق كليوبترا كثيرون، فاختار تشارسكي موضوع أن كليوبترا اقترحت على بعضهم الموت ثمناً للحصول على حبها، فوجدت من يقدم على الموت بشجاعة، في سبيل الحصول على حبها.

إن بوشكين تأثر بالثقافة الإسلامية، وقد ظهر تأثره وإعجابه بالقرآن الكريم بوضوح في القصائد التي اقتبسها من الآيات القرآنية وضمنها مجموعته الشعرية (قصائد شرقية)، وبوشكين بما له من مكانة عظيمة لدى الشعب الروسي وتأثيره القوي في الأجيال المتعاقبة، وبما له من مكانة هامة في الأدب العالمي، ساهم في نشر المعاني السامية للمثل الإسلامية والقيم الرفيعة التي تضمنها أدبه وكذلك في تصويره للشرقي المسلم كشخصية إنسانية إيجابية فاعلة في الحياة، يقول بوشكين في إحدى قصائده التي عنوانها (قبسات من القرآن)[٤٠]:

أقسم بالشفع والوتر ... أقسم بالسيف والحرب المَحقّة
أقسم بنجمة الصبح ... أقسم بصلاة المساء

نلحظ هنا الأثر والاقتباس من سورة (الفجر) من قوله تعالى: ﴿**والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر**﴾[٤١]، ونرى كيف استطاع بوشكين أن يستبدل (الواو) للقسم بكلمة أقسم مبتدئاً بها كل عبارة من

٣٩- سورة المدثر: الآيات ١، ٢، ٣.
٤٠- قصائد شرقية: ٢٠.
٤١- سورة الفجر: الآيات ١، ٢، ٣.

العبارات السابقة بدلاً من (الواو) التي ترددت في السورة الكريمة، وهذا يدل على فهم لما قرأه وتذوقه وأنه استطاع أن ينفذ إلى المعاني حتى من خلال الترجمة ويقول في القصيدة نفسها[٤٢]:

يا نساء النبي الطاهرات أنتن عن كل النساء مميزات

فيكاد يكون ترجمة لقوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ [٤٣]. وفي القصيدة (٦) يقول بوشكين:

ليس عبثاً أنكم ظهرتم في الحلم لي برؤوس حليقة في المعركة
وسيوف مدماة في الأسمال، على القلاع، على الأسوار[٤٤]

إنّ هذا المقطع مقتبس من قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا﴾[٤٥].

ثانياً: تأثير الاستشراق في نتاج كراتشكوفسكي

يعد كراتشكوفسكي(١٨٣٣-١٩٥٩م) بحق شيخ المستعربين الروس. ولد في (فيلينوس) عاصمة (ليتوانيا)، وعاش في طشقند مع أبيه حتى عام (١٨٨٨م)، وتعلم فيها، ثم أنهى تعليمه الجامعي في جامعة بطرسبورغ عام ١٩٠٥ في قسم اللغة العربية في كلية الدراسات الشرقية، وكانت رسالته للماجستير عام ١٩٠٦ عن الشاعر (الوأواء الدمشقي)، وخلال تحضيره لرسالة الماجستير وصل إلى بيروت في رحلة إلى الشرق فالتقى بالعديد من العلماء والأدباء والمفكرين العرب[٤٦].

كرس كراتشكوفسكي معظم آثاره العلمية إن لم نقلْ كلها للآداب العربية وخدمتها وقد اهتم بالدرجة الأولى بالمخطوطات العربية والكشف عنها وتحقيقها، فكان له الفضل في اكتشاف مخطوط (المنازل والديار) للأمير السوري أسامة بن منقذ وكذلك مخطوط (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري وقام بنشر كتاب (البديع)، لابن المعتز.

عقد كراتشكوفسكي صداقات أبدية مع مخطوطاته، ومع علماء وأدباء عرب ممن أبدعوا تلك الآثار الفكرية الحضارية فيقول:(أولئك الأصدقاء الذين لا يستطيع أحد أن ينتزعهم منك، حتى الموت نفسه لا يملك سلطاناً عليهم، إن فصولاً بأكملها من التاريخ كانت مجهولة ثم انفتحت لك، وإن كثيراً من الشخصيات قد خرجت من صفحاتها وكأنها حية وتجسدت أمامك فرأيتها رؤية العين)[٤٧].

يقدم كراتشكوفسكي شخصيتين عربيتين إسلاميتين، واحدة من الزمن الماضي، والأخرى عايشها وتعامل معها: يقول: كراتشكوفسكي:

٤٢- قصائد شرقية: ٢٨.
٤٣- سورة النساء: الآية٣١.
٤٤- المرجع نفسه: ٣٣.
٤٥- سورة الفتح: الآية ٢٦.
٤٦- ينظر: أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية: ٢٣٩.
٤٧- المخطوطات: ٤٥.

(وقد تذكرت بابتسامة حياة التبريزي التي قضاها في بغداد أستاذاً في المدرسة النظامية المجيدة، وكيف أنه بعد موته، كان الناس يشيرون إلى معجم كبير قد حمله أيام شبابه على ظهره من تبريز إلى بلاد الشام، لكي يدرس عند شاعر وعالم مشهور أعمى هو أبو العلاء في المعرة بالقرب من حلب، ويبدو ظهر المعجم وقد أصابه البلل بالماء، والسبب في هذا يرجع إلى طول الفترة التي قضاها المعجم محمولاً على ظهر التبريزي فأصابه العرق الذي نضحه ظهره)[٤٨].

إن كراتشكوفسكي يقدم لنا الشخصية الإسلامية شخصية إنسان ساع للعلم لا يتوانى في سبيله من تجشم عناء السفر، حاملاً كتبه من تبريز إلى الشام ليتتلمذ على يدي أبي العلاء فالمسلم طالب للعلم متابع له هذا عن عالم من الماضي، وعن الحاضر، يحدثنا عن العلماء المعاصرين أحفاد أولئك العلماء الدؤوبين ضمن الشروط التاريخية، فهو يصف المكتبات العربية خلال رحلته إلى الشرق العربي المسلم فيتحدث عن مكتبة الأزهر وعن المكتبة الخديوية وعن إتاحة فرص الانتفاع بالمخطوطات للباحثين دون تعقيدات كثيرة في مكتبة الأزهر قياساً إلى تعليمات المكتبة الخديوية الصارمة (وها أنا أسرع إلى مكتبة الأزهر والأزهر هذا هو أكبر مدرسة إسلامية أسست في القرن العاشر للميلاد. وفي المساء ذهبت إلى الشيخ وأخذت منه بلا صعوبات كثيرة بعض المخطوطات إلى منزلي[٤٩].

إن كراتشكوفسكي يعكس صورة الشرق المعاصر المهتم بالفكر والأدب والثقافة، اهتماماً رسمياً ودينياً وشخصياً، وصورة الشرقي المنفتح على الآخر، ذي الاهتمامات العلمية.

إنّ النهضة الحديثة للشرق العربي المسلم تظهر بوادرها في كل مكان، (وفي الصيف عندما غادرت بيروت ورحلت إلى أماكن أخرى فهناك كان معلمو القرى وصحفيو المدن الصغيرة ومراسلو الجرائد وأطباء القرى كل هؤلاء قابلوني هناك بود وترحاب وكان الحوار بيننا يستغرق عدة ساعات بعد أول لقاء بهم وكانوا جميعاً يتأججون والثورة تتقد في نفوسهم وفي خيالهم حلم بالتحرر الوطني)[٥٠].

وهنا يمكن أن نلفت النظر الى إن كراتشكوفسكي في حديثه عن الشرق المعاصر، الشرق العربي المسلم، يقدم صورة تختلف اختلافاً كبيراً مما قدمه ورسمه الأوروبي الغربي، فالحديث عن شخصية الشرقي المسلم، وتقديمها إلى العالم اختلفت اختلافاً بيناً، بينه وبين أولئك، إذ غالباً كان المستشرقون الأوربيون الغربيون ينظرون إلى الشرق المسلم على أنه مكان للمغامرة الجنسية والمتعة. في حين أن شرق كراتشكوفسكي هو الشرق الناهض الذي يمور بالحركة والحياة، الشرق المتنور حيث الصحف والكتب والمكتبات والمعلمون والأطباء، إن الشرق لم يمت بانتهاء حقبة حضارية، إنه ينهض ليمارس دوراً في الحياة البشرية إنه شرق من نمط آخر مختلف عن شرق الأوروبي الغربي الذي مازال غارقاً في سباته، الشاذ، الكسول، المنغلق، الذي لا يوحي بالحياة. إن الشرق المسلم عند كراتشكوفسكي ليس الشرق الذي يقصده الأوربيون الغربيون للبحث عن متع جنسية لم يتذوقوها في بلادهم.

٤٨- المصدر نفسه: ٣٢.
٤٩- المصدر نفسه: ٣٧.
٥٠- المصدر نفسه: ٣٢.

هكذا صور المستشرقون الأوروبيون الغربيون الشرق المسلم، وتمت تقديم هذه الصورة للقراء وللأجيال المتعاقبة. وإذا كانت هذه صورة الشرق المسلم التي ورثتها الأجيال الأوروبية عن مستشرقيها، فإن ما أورثه المستعربون الروس لخلفائهم كان أمراً مختلفاً، يقول كراتشكوفسكي في حديثه عن أبي العلاء المعري:

(وكنت قد ورثت هذا الاهتمام الشديد بأبي العلاء المعري من معلمي روزن الذي كان في آخر أيامه شغوفاً بهذا الفيلسوف المتشائم اللاذع السخرية والحقيقة أن أبا العلاء المعري ينفذ إلى أعماق النفس البشرية بتحليله الدقيق المتشائم، بابتسامة ساخرة لينة يحاول أن يكتم مرارة اليأس وسواد أفكاره)[٥١]، وأن هذا الاهتمام بالمفكرين العرب المسلمين، وبالشخصيات العلمية العربية، كان يتقاسمه المستعرب الروسي مع الباحثين العرب.

إن كراتشكوفسكي قدم الشخصية العربية المسلمة هنا، شخصية إنسان ذي عقل منفتح، يتحاور ويناقش ويتفاعل ايجابياً مع الآخر ويطور نفسه وينفتح على ثقافات الآخرين من خلال تعلم لغاتهم ومحاولة التغلب على صعوباتها التي كانت مشتركة بين الروسي والعربي المسلم ويقدم كراتشكوفسكي شخصيةعلمية عربية لبيئة الاستعراب الروسي تمثل دقة وتنظيم العقل العربي، فيتحدث عن المراسلات التي كانت تتم بينه وبين العالم الأديب أحمد تيمور باشا بشأن مخطوط أبي العلاء المعري (رسالة الملائكة)، فيقول: (وعندما تجددت الروابط العلمية الدولية بصعوبة وإصرار، وجدت على غير انتظار زميلاً في العمل متحمساً ومحباً لأبي العلاء تحمس روزن وتلميذه الأصغر. هذا الزميل هو أحمد تيمور باشا، المصري صاحب أحسن مجموعة خاصة من المخطوطات في القاهرة، كان قد جمعها بحب كبير وسعة معرفة كان هذا العالم كريماً لدرجة عجيبة فقد كشف كنوزه لمختلف العلماء من مختلف البلاد، وكان متواضعاً نادر الوجود فقد كان يجعل من نفسه زميلاً في العمل لمن يراسله من العلماء إذا أحس بأن لدى هذا المراسل تذوقاً للأدب العربي، وكانت مجموعة هذا العالم تحتوي مخطوطاً آخر عن (رسالة الملائكة) فبدأت بين القاهرة ولينغراد مراسلات حية. ومن جديد ثارت مناقشة حول مختلف الأشكال وتبيان الإشارات والافتراضات المتعلقة بها. وعلى تلك القصاصات النظيفة المستطيلة التي كتبت بخط شيخ عجوز لكن بحروف جميلة واضحة كان أحمد تيمور باشا من أسبوع لأسبوع يرسل إلي بأفكاره واقتباساته في رده على أسئلتي، أو يرسل إلي مايخطر بفكره هو نفسه، وفي كل مرة بنشوة مضطرمة كنت أفتح خطاب تيمور باشا الذي كنتُ أجد فيه مراراً الجديد من الاكتشافات، بل كنت أجد أحياناً وبدون توقع شعراً وأمثالاً وأقوالاً، كنت في ذلك الوقت أشد ما أكون حاجة إليها لتوضح تلميحات أبي العلاء التي تعبنا أعواماً عديدة في محاولة كشفها وتبينها)[٥٢].

من هنا يبدو أن الفرق واضح جلي بين تقديم الاستشراق الأوروبي الغربي للشخصية العربية المسلمة، وبين تقديم الاستعراب الروسي للشخصية نفسها.

٥١- المخطوطات: ٤٠.
٥٢- المخطوطات: ٤٣-٤٤.

المبحث الثالث: تأثير الاستشراق في الأدب الألماني، الأديب غوته أنموذجاً

لابد أن يعرف القارئ أن جوته (المولود١٧٤٩والمتوفى١٨٣٢) هو صاحب (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) الذي يحتوي على الكثير من المفاهيم الإسلامية، والاقتباسات القرآنية، وأنه صاحب (القصيدة المحمدية)، وهو القائل:((إذا أردنا المشاركة في عملية خلق العقول النيرة فلابد لنا من التمثل بما هو شرقي فالشرق لن يأتي إلينا بنفسه))، وقال ايضاً: «إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي محمد وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد»[٥٣]، مما جعل بعض الدارسين يقولون إنه مات مسلمًا، بيد أن ذلك غير مثبت في أي سيرة لحياته.

أن أول اهتمام لجوته بالقرآن الكريم كان سنة ١٧٧٢م، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، فقرأ أولا ترجمة ألمانية قام بها المستشرق مرجولين، ثم قرأه في ترجمة لاتينية كانت قد سبقت الترجمة الألمانية في الظهور، إذ ظهرت في القرن السابع عشر[٥٤]، وفي عام ١٧٧٣ وهو في الرابعة والعشرين من عمره توجه اهتمام جوته إلى شخصية النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، إذ قرأ كتاب (تاريخ محمد مشرّع العربية) للمستشرق الفرنسي (فرانسوا هنري توبين)، ثم حاول أن يحوّل بعض قصص التوراة والقرآن إلى مسرحيات، ووضع مشروع مسرحية عن حياة الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم-، ولم تتم المسرحية إلا أنه قد وصلت بعض قطع منها، وذكر بأنه سيلحقها في ملحق البحث لإطلاع من يهمه معرفة ذلك.

ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أن جوته لم يطلع على القرآن إلا في سنة ١٧٨٢م بعد أن اعتراه السأم من الحضارة الغربية، وحاول أن يعالج ذلك بالسفر والتغرب أو الهروب بذهنه إلى الشرق، وكان في هذه الفترة قد بلغ الثانية والثلاثين، وفي ١٧٨٣م وفي الرابعة والثلاثين من عمره بدأ أول تجربة في قراءة الأدب الجاهلي إذ اتصل بجامعة جوتنجن كي ترسل إليه من مكتبتها نسخة من ترجمة المعلّقات باللغة الانجليزية، وكان جوته قد تمكن من العربية حتى استطاع قراءة العربية بمساعدة المعجم[٥٥]. ولكي نتلمس أثر الاستشراق في نتاجه لابد أن نعرض أهم أعماله الأدبية، وهي:

- الديوان الشرقي للمؤلف الغربيّ: الذي أبدعته أنامله بعد أن ألقى الدعاية الزائفة والكلام الفارغ خلف ظهره، ودأب يبحث عن الحقيقة، فحين أراد أن يطّلع على الإسلام درسه عن كثب، فقرأ القرآن الكريم أكثر من مرة قراءة متأنية واعية، واطلع على حياة رسول الإسلام النبي محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- وفكره، ففي عام (١٨١٤م) في الخامسة والستين من عمره التقى بالسيدة (مريان فون فليمر) التي يسميها زليخا في الديوان الشرقي، وفي هذا العام بدأ ظهور ذلك الديوان، وانتهى منه عام ١٨١٩م، أما التعليقات على الديوان فقد كُتبت بين عام ١٨١٦و ١٨١٨م، فالديوان الشرقيّ من حيث قيمته الأدبية والتوثيقية ينقسم

٥٣- الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي: ٧.

٥٤- ينظر: الشرق والإسلام في أدب جوته عبد الرحمن صدقي، دار القلم- قاهرة د ت:١٤.

٥٥- ينظر: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، تر عبد الرحمن بدوي، بيروت د ت. باب أشعار نشرت بعد وفاة المؤلف: ٣٥٤. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣٠٦.

على قسمين، الأول: الديوان الشعري، والثاني:التعليقات. وتعدّ التعليقاتِ التي كتبها الشاعر جوته أهم من شعره في الديوان الشرقي في رسم الصورة العربية، إذ أن التعليقات كتبها لتوضيح وشرح الأشعار الموجودة في الديوان، فيمكن أن يحصل منها على الآراء التي يراها خلاصة ذكية لأفكاره التي لم تخضع لتلاعب الوزن والقافية.

إن جوته كان في وقته جزءاً من حالة عامة في التوجه الغربيّ نحو الشرق، الذي اكتشف فيه وفي كنوزه الأدبية ينبوعا جديدا في فكره يختلف عما أورثته الحضارة الهيلينية والرومانية، وذكر ما يفعله أدب الشرق بالقارئ الغربيّ ابن الحضارة المتعبة والحروب والمآسي وينقله إلى عالم رومانتيكي يبتعد به عن الحياة اليومية، فكانت علاقة الشاعر بزليخا بعثت به كل هذا الخزين من أدب الشرق، فظهر مقدار ما دان به جوته للشرق في هذا الكتاب[٥٦]، ومن ثم تناول الأثر الشرقيّ في جوته بالصورة التي عرفها أو قبلها عن العرب، فضلا عن هذا اهتمامه بالأدب الجاهليّ، ولم يغض الطرف عن الحضارة الإسلامية العربية، بل ذكر أسماء الشعراء العرب والمدن العربية عدة مرّات، وأنه كان يرى العرب من أفقين واسعين، الأول: قناعاته الخاصة التي أنشأها من قراءاته الدائبة للإسلام والأدب العربيّ. والثاني: آراؤه التي كان فيها صدى لما قرأه للآخرين، ومرآة عاكسة لآرائهم. ويعترف جوته بأثر الشرق في لغات الغرب، وذكر أنه دعا – رداً للجميل – قرّاءه أن يتوجهوا بانتباههم إلى هذا العالم الذي بقي مجهول الحقيقة إذ رسمت له صورة في أذهان الأوربيين غير الصورة الحقيقية له، ويقول في التعليقات:((في الوقت الذي فيه نثري لغتنا بالكثير مما استعرناه في الشرق، فأنه من المناسب من ناحيتنا أن نسعى لتوجيه الانتباه إلى عالم وصلتنا منه منذ آلاف السنين أشياء كثيرة وعظيمة وجميلة وخيرة، ونأمل كلّ يوم أن نظفر منه بالمزيد))[٥٧]، وقد كان جوته داعية لقراءة الأدب العربيّ في لغته، على الرغم من اعتقاده أن الترجمات تخدم القارئ الأجنبي، فهو يقول: ((وإذا شئنا أن نأخذ بحظنا من نتاج هؤلاء العباقرة الممتازين فينبغي علينا أن نستشرق، وليس على الغرب أن يأتي هو إلينا، ومن ذا الذي لا يود أن يطّلع على هذه الكنوز في مصدرها الأصلي))[٥٨]، كان معجبا بأدب الجاهلية، وأكد المقاييس الأخلاقية التي تحويها المعلقات، فيقول أنها تعبّر:((عن الشعور بالشرف والشجاعة))[٥٩]، وكان يتكلم عن أبيات تأبط شرا بإعجاب ممتدحاً قوتها في التصوير، ونقل الواقع إلى مستوى الفن الرفيع[٦٠]، وحاول أن يتخذ لنفسه اسم الشاعر العربي حاتم الطائي، كما أطلق على من يخاطبها اسم زليخا وهو اسم شرقي، يقول بدوي: ((إن سبب تسمية نفسه بحاتم، لأن حب جوته إنما هو حب صوفي، يهب ويعطي، ولا يتوقع لذلك ثمنا أو حسابا، وهذا هو حال الكرم المطلق))[٦١]، كذلك

٥٦- ينظر: الديوان الشرقي، المقدمة التاريخية:٣ وما بعدها. وينظر: الشرق والإسلام لعبد الرحمن صدقي: ٦، ٧، ١٤، ١٥-١٦، ٢٦، ٢٩، ٣٦، ٤٠، ٤٦، ١٠٢.

٥٧- الديوان الشرقي، باب التعليقات:٣٧٣، وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣٠٧.

٥٨- المرجع نفسه:٤٣٦. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣٠٨.

٥٩- ينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣٠٨.

٦٠- ينظر: المرجع نفسه:٣٨١، وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣٠٩.

٦١- المرجع نفسه، مقدمة بدوي: ٢٥. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣١١.

ذكر أمثالا عربية كثيرة، أدخلها في بعض قوالب الديوان الشرقي، منها: ((من يلزم الصمت لا يهاب إلا قليلا، المرء مخبوء تحت لسانه))[٦٢].

أما موقف جوته من الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- ومقدار تأثره به فيكاد يكون أهم مفاصل البحث فقد كان ينظر إلى الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-، شخصية عظيمة، وقد تأثر بها فعلا، وتأثر بالتراث الإسلامي واستعمله في شعره وتعليقاته ((ويندر أن نجد رجلا غربيا يتكلم بحماسة ومحبة عن النبيّ محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- كما يتكلم جوته، فهو يقول عنه في التعليقات: ((ان مما يتفق مع غرضنا أن نذكر هذا الرجل العظيم الخارق للعادة انه نبيّ وليس شاعراً، وتبعا لذلك إن القرآن يجب أن يعد قانونا إلهيا، لا كتابا إنسانيا كتب من أجل التعلم أو الإمتاع))[٦٣].

إنَّ شخصية الرسول-صلى الله عليه وآله وسلم- في فكر جوته تتمركز في وضعه لمشروع مسرحية عن شخصية الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- وكتب منها بعض أجزاء فصولها، وفكرة هذه التمثيلية الشعرية عن النبي الأكرم محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- لم تزل ماثلة في مخيلة جوته حتى وضع مشروعها، وذكر الخطوط العريضة لفصولها.

أما اقتباساته القرآنية فهي كثيرة، من نحو مانجده في قوله[٦٤]:

حذار من النسوان في كل مدرج — براهن من ضلع- الهي- اعوج
فان شئت أن تثني تكسرن فجأة — حذار من النسوان في كل مطلع
فلا خير تجني أنت من كسر أضلع

وهو في قوله هذا يدور حول حديث الرسول الذي ورد وبصيغ مختلفة، ومنها حديث الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج))[٦٥].

وقد ذكر الدكتور بدوي علاقة جوته بالإسلام بقوله:((ولطالما أظهر جوته إعجابه الشديد بالإسلام، حتى عدّه هو والتقوى شيئا واحدا، وهذا واضح من تعريف جوته للتقوى مما حدا به ليقول:إذا كان الإسلام معناه التسليم لله، فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعا))[٦٦]. ويصور النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- بعد معركة بدر وقد وقف تحت سماء صافية مرصعة بالنجوم يؤبّن الشهداء (فينشد جوته على لسان الرسول):

((ليبكِ الكفار موتاهم، فقد ماتوا إلى غير رجعه، أما أنتم معشر المؤمنين فلا تبكوا إخواننا، لأنهم صعدوا إلى أعلى عليين في جنات النعيم))[٦٧].

ويقول الدكتور بدوي:((ولا يكاد الإنسان أن يصدق أذنيه وهو يسمع جوته يقول:اسمع إننا معاشر المسلمين، يجب علينا أن نظل في صحو، بينما هو في حماسته المقدسة، يكون هو وحده النشوان

٦٢- المرجع نفسه، كتاب الحكيم: ١٤٩. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣١٢.
٦٣- الديوان الشرقي، كتاب التفكير: ١٥٠.
٦٤- المرجع نفسه: ١٥١.
٦٥- ينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣١٧-٣١٨.
٦٦- الديوان الشرقي، تعليقات بدوي: ٣٨. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣١٨.
٦٧- المرجع نفسه: ٣٧. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣١٧.

بالإيمان))[٦٨]، ثم يتحدث عن إيمان المسلم بالآخرة، فيقول:((المسلم الحق حين تتحدث عن الفردوس، كما لو كان هو نفسه هناك، ويؤمن بالقران وما يعد به، وعلى هذا الأساس تقوم العقيدة الطاهرة))[٦٩].

من خلال الاطلاع على النصوص السابقة يتبيّن لنا أن القارئ للديوان الشرقي يخرج برأي قاطع على أن جوته كان يؤمن بالقرآن الكريم، كما يؤمن المسلم الورع، ذلك الأيمان والورع يظهر بدرجة سواء في التعليقات وفي الشعر. ويرى جوته في القرآن الكريم جامعاً للبشرية، وموحدا لكلمة الأديان المتعددة، إذ يقول: ((وكان على القرآن أن يوحدهم جميعا في معرفة وعبادة الله الواحد الأحد، الذي لا تراه الإبصار والذي خلق كل شيء بقدرته البالغة))[٧٠]. وقال:((أيها القران الكريم، أيتها الطمأنينة الخالدة))[٧١].

الخاتمة

الآن وقد شارف البحث على الانتهاء، وحانَ حطّ الرِّحال مع موضوع (الاستشراق وأثره في أعلام الأدب العالمي) يَحسُن بنا أنْ نُجمِل أهم النتائج التي توصّلنا إليها؛ لتكمل الفائدة ويعم النفع. فقد أسفر البحث عن النتائج الآتية:

- لقد أختلف المهتمون في هذا الحقل المعرفي بتحديد مفهوم الاستشراق، ولكن بصورة عامة أن كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق، وتدل على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوعة، وبهذا يكون المستشرق هو الشخص المهتم بدراسة مايدور في الشرق من مجالات فكرية ومعرفية مختلفة.
- إن الاستشراق معرفة ذات جوانب متعددة، وإن أحد جوانب هذه المعرفة الأساسية هو الفضول المعرفي الذي يهدف إلى دراسة الآداب العربية الإسلامية، والمجتمعات التي أنتجت هذه الآداب والحضارة الإسلامية، وبالتالي فإننا عندما نتحدث عن الاستشراق فإننا لن نتحدث عن شرق هندي أو شرق صيني، إنما نتحدث عن الشرق العربي المسلم.
- يؤرخ المختصون بداية الاستشراق بالقرن التاسع عشر، وعلى أبعد حد نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، لذلك نرى أن مصطلح (استشراق) ظهر لأول مرة في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٨م)، وظهرت كلمة (مستشرق) باللغة الإنكليزية حوالي عام (١٧٧٩م)، ومنهم من يؤرخ له ببداية الحملة الفرنسية على مصر عام(١٧٩٨م) حينما جلب نابليون عدداً كبيراً من العلماء إلى مصر وقاموا بمعالجة أبحاث عديدة؛ وهذا الرأي هو المرجح لدى الباحث، ومنهم من يرى أنه بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب الأندلس، في حين يذهب آخرون الى أن بدايته مع بداية الحروب الصليبية على بلاد المسلمين.
- أما دوافع الاستشراق فالمستشرقون أنفسهم يرون أن بداية الاستشراق تم بدافع الفضول المعرفي للشعوب الأخرى، فضلاً عن دوافع استعمارية انبثقت من رحم الحروب الصليبية التي كانت أول

٦٨- كتاب الساقي: ٢٠٦، وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية: ٣١٨.
٦٩- التعليقات: ٤٦٥. وينظر: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣١٨.
٧٠- الديوان الشرقي: ٣٩٢-٣٩٣. وينظر:الأدب المقارن في الدراسات التطبيقية: ٣٢٠.
٧١- الديوان الشرقي، كتاب الحزن: ١٧٩. وينظر:الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية:٣٢١.

تجربة استعمارية خاضتها أوروبا خارج حدودها باتجاه الشرق العربي الإسلامي تحت ستار ديني غايته إقامة كنيسة عالمية تحت سلطة روما، فضلاً عن ذلك الدافع العلمي، إذ أن هناك مجموعة من المستشرقين أقبلوا على دراسة العلوم العربية والإسلامية بدافع علمي محض بغية الإفادة من تراث وحضارة هذه الأمة.

- بات المنصفون يعولون كثيراً على مدى اعتراف الغرب -في دراساته الأدبية- بوجود المثاقفة المعكوسة، والتي تقدِّر إسهامات الفكر العربي الإسلامي في مسيرة نظيره الأوروبي، ولاسيما تأثيره في أعلامه الكبار، واشخاصه الأفذاذ أمثال فولتير ولافونتين وبوشكين وكراتشوفسكي وغوته وغيرهم الكثير؛ بسبب الجهد الضخم الذي قام به المستشرقون في نقل كنوز الشرق الاسلامي الى الغرب. فكان مستوى الإلهام كبيراً من الثقافة العربية الإسلامية، ومقدار ما للعالم العربي من فضل على أدباء أوروبا ومفكريها إيماناً بقيم التعارف والتسامح والتعايش والتعاون والأخوة الإنسانية التي تضمنتها ثقافة ذلك الشرق.
- تعد الملحمة الإيطالية الكوميديا الإلهية ل"دانتي إليجيرى" التي كتبت في القرن الرابع عشر الميلادي والتي تندرج تحت قائمة الأدب الغربي المتأثر بالأدب العربي واضحة التأثر بالتيار الإسلامي المتأجج قبل فترة كتابتها، ويبدو فيها التأثر الشديد بقصة الإسراء والمعراج.
- أصبح من المسلّمات لدى الباحثين، أن الأدباء الأوربيين بعامه والفرنسيين بخاصة قد أطلّوا على ذخائر العرب والمسلمين، إذ فَتح المستشرقون أبواب الشرق على مصراعيها بوجه الأوربيين فتنصتوا وانتهلوا وترجموا واطلعوا على تلك النفائس الغالية، لاسيما وان كثير من الباحثين قد سبروا أغوار الثقافة الشرقية الإسلامية فبان صدى ذلك في كتاباتهم، فبات من اليسير على فرنسي من طراز أدبي رفيع كفولتير ولافونتين أن يطّلع على المؤثرات العربية التي اعتمدوها في نتاجهم.
- تجلت تأثيرات الثقافة الشرقية الإسلامية لدى بوشكين شاعر روسيا العظيم في أدبه وخاصة مجموعته الشعرية (قصائد شرقية)، وذلك من خلال قراءته لترجمة القرآن باللغة الروسية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر، وكذلك من خلال معايشته لشعوب القوقاز المسلم طيلة أربع سنوات هي مدة نفيه إلى الجنوب بعد صدور أمر القيصر، يقول بوشكين عن تأثير العرب المسلمين في الثقافة الأوروبية (أن العرب في إسبانيا وهبوا للشعراء الأوروبيين الوجدان والعفوية في الحب). ويقول(هناك أمران أساسيان أثرا تأثيراً حتمياً على روح الحياة في أوروبا وهما غزو العرب للأندلس والحروب الصليبية).
- وقف كراتشكوفسكي معظم آثاره العلمية إن لم تقل كلها للآداب العربية وخدمتها وقد اهتم بالدرجة الأولى بالمخطوطات العربية والكشف عنها وتحقيقها فكان له الفضل في اكتشاف مخطوط (المنازل والديار) لأسامة بن منقذ، وكذلك مخطوط (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري، وقام بنشر كتاب (البديع) لابن المعتز.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم.

- أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية، د داود سلوم، ط١، دار الشؤون الثقافية- بغداد ٢٠٠٨.
- الأدب الفرنسي في عصر النهضة د. رجاء ياقوت، طبعة دار المعارف- القاهرة ١٩٧٨م.
- الأدب الفرنسي في عصره الذهبي،حسيب الحلوي، ط٢، دار الفكر العربي- مصر ١٩٥٦م.
- الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، د. داود سلوم، ط١، مؤسسة المختار- القاهرة ٢٠٠٣ م.
- الأدب المقارن منهجا وتطبيقا، السيد العراقي، دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٨٥م حسب تاريخ المقدمة.
- الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، الطاهر أحمد مكي دار المعارف-القاهرة ١٩٨٧م.
- الأدب المقارن، فان تيجم، تر(دار المعارف الأدبية العالمية) القاهرة، د.ت.
- الأدب المقارن، كلود بيشو وأندريه ميشيل روسو، تر رجاء عبد المنعم، الكويت ١٩٨٠م.
- الأدب المقارن، ماريوس فرانسوا غوبار، تر د. هنري زغيب، ط٢، منشوران عويدات- بيروت ١٩٨٨م.
- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، القاهرة، ١٩٥٣م.
- الاستشراق، إدوارد سعيد، تعريب كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥.
- الاستشراق بين دعائه ومعارضين، ترجمة وإعداد هاشم صالح، دار الماضي، بيروت.
- آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، د حسام الخطيب، ط٢، دار الفكر- دمشق ٢٠٠٣م.
- ألف ليلة وليلة بيروت -دار مكتبة الحياة، المجلد الثاني.
- ألف ليلة وليلة، بيروت، دار مكتبة الحياة، المجلد الأول.
- التأثر والتأثير بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني حصان طروادة أنموذج، د. داود سلوم، ط١، المركز القومي للنشر- الأردن أربد، ١٩٩٩م.
- تاريخ التراث العربي، فؤاد شكرين، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ترجمة درعا. فهمي أبو الفضل، القاهرة ١٩٧١.
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦.
- دراسات في تاريخ الأدب العربي، منتخبات، كراتشكوفسكي، دار النشر (علم)، موسكو، ١٩٦٥.
- دكتور فاوست ومسرحيات أخرى، ترجمة حلمي مراد، دار مصر للطباعة - القاهرة ١٩٩٢.
- الدكتورة مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، الكويت فالعدد ١٥٥،ص١٥٥.
- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، د. عبد الرحمن بدوي ط٣، دار القلم- بيروت١٩٧٩م.

- صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشادر سودريه، تعريب د.رضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٤.
- عصور الأدب الألماني، تحولات الواقع ومسارات التجديد، باربارا باومان وبريجيتا أويرله، تر د هبة شريف، مراجعة عبد الغفار مكاوي، منشورات دار المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت٢٠٠٣م.
- في الأدب المقارن (دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي)، الدكتور محمد عبد السلام كفافي، بيروت ١٩٧٢م.
- في النقد المقارن والدراسات النقدية د. داود سلوم، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل١٩٧٦م.
- فيدور دوستيفسكي، مختارات في عشرة أجزاء، كلمة دوستيفسكي عن بوشكين، المجلد العاشر، موسكو، دار الأدب الإبداعي ١٩٥٩.
- قصائد شرقية، بوشكين، ترجمة: طارق مردود، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٩.
- قصة الأدب الفرنسي، أمينة رشيد، ط١، دار شرقيات– القاهرة ١٩٩٦م.
- الكسندر بوشكين الليالي المصرية، مختارات في عشرة مجلدات، المجلد الخامس، موسكو، دار الأدب الإبداعي، ١٩٦٠.
- مع المحفوظات العربية، كراتشكوفسكي، تعريب د.محمد منير مرسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩.
- مقالات في تأريخ النقد العربي د. داود سلوم، دار الطليعة– بيروت، ١٩٨١م.
- مقالات في الأدب المقارن التطبيقي، د. داود سلوم، دار الشؤون الثقافية للنشر– بغداد١٩٨٤م.
- موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت طبعة ثالثة ١٩٩٣.
- الواقعية في الأدب الفرنسي، د. ليلى عنان، دار المعارف– القاهرة ١٩٨٤م.